The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
Ecclesiastes 1:12	سِفْر الجامعة 1: 1 2
#642	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 642
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَكْ سميث

[المُقَدِّمة]

(مُقَدِّم البرنامج)

أهْلًا وَمَرْحَبًا بِكَ، صَديقي المُستَمِع، في حَلْقَةٍ جَديدَةٍ مِنَ البَرْنامَجِ الإذاعيِّ "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم". في حَلْقَةِ اليوم، سنبدأ بِنِعْمَةِ الربِّ دِراسَتَنا لِسِفْرِ الجامعة على فَمِ الرَّاعي "تشك سميث".

فَإنْ كَانَ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ، نَرْجو أنْ تَفْتَحَهُ على الأصحاح الأول من سِفر الجامعة والعدد الأول. أمَّا إنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ في هَذِهِ اللَّحْظَةِ، فَمَا نَرْجوهُ مِنْكَ، يا صَديقي، هُوَ أنْ تُصْغي بِروحِ الخُشوعِ وَالصَّلاة.

وَالآنْ نَتْرُكُكُمْ، أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعين، مَعَ دَرْسٍ قَيِّمٍ آخَرَ مِنْ سِفْرِ الجامعة دَرْسًا أعَدَّهُ لَنا الرَّاعي "تشك سميث":

[العِظَة]
(الرَّاعي "تْشَكْ سميث")

يبدأ سِفر الجامعة بهذه الكلمات:

كَلاَمُ الْجَامِعَةِ ابْنِ دَاوُدَ الْمَلِكِ فِي أُورُشَلِيمَ.

في بداية السِفر هذا تأكيد أن الكاتب هو سليمان. إسم هذا السِفر في اليونانيّة واللاتينيّة "إكليزيا"، التي تُترجَم "جماعة"، أمّا معنى "إكليزياستِس" فهو واعظ. وعنوان السِفر في العبريّة هو "قوهيلت"، ومعناه "مَن يدعو ليجمع الشعب"، ولذا دُعي في العربية أيضًا "الجامعة". وتدل اللفظة على مَن يخاطب الجماعة بصفة واعظ أو خطيب. فالكاتب يشير إلى نفسه بأنه الجامعة، أي المستكشِف والمناقش والذي يُجري بحثًا.

وسليمان هو الشخص الوحيد في الكتاب المقدس الذي كان له كل شيء: الحكمة والسلطة والغنى والكرامة والشهرة. كان الوحيد الذي ناقش البُطل النهائي لكل ما يمكن أن يقدمه العالم، وحاول أن يوجِّه الناس إلى الإيمان بالله لأنه هو السبب الوحيد للحياة.

موضوع هذا السِفر هو اكتشاف سر السعادة في الأرض. ولهذا، فقد جرَّب الملك سليمان كل مسرَّات الأرض: جرَّب الحكمة والغِنى، النفوذ والقوة، الشهرة والمركز، المسرَّات والملذة، فوجد أنَّه لا شيء تحت الشمس يمكن أن يملأ قلب الإنسان. ولأنَّ كاتب هذا السِفر هو حكيم الحكماء سليمان، فإنه ضمَّن سِفره جميع فلسفات الأرض، التي بحثت عن سرِّ الحياة ومعنى الوجود، فانتهت إلى طريق مسدود. فقد عَمدَ سليمان إلى الكتابة، ربما في سنواته الأخيرة، لتوعية شعب مملكته، وقد نبَّههم إلى وجوب تجنُّب السير في الحياة على درب الحكمة البشرية، كما حرَّضهم على أن يعيشوا بموجب حكمة الله المعلَنة.

ننتقل إلى العدد الثاني، فنقرأ التالي:

بَاطِلُ الأَبَاطِيلِ قَالَ الْجَامِعَةُ. بَاطِلُ الأَبَاطِيلِ الْكُلُّ بَاطِل.

إنّ الكلمة العبرية المترجمة "باطل" و"أباطيل" وحياة الباطل تعبّر عن المسعى العقيم للحصول على الشِبَع بمعزل عن الله. وتُستَخدم هذه الكلمة 39 مرّة، معبِّرةً عن الأمور الكثيرة التي يصعب فهمُها بشأن الحياة. فإنَّ جميع الأهداف والطموحات الدنيوية، إذا طُلِبت كغايات بحدِّ ذاتها، لا تنتج إلا الفراغ والتفاهة.

كانت مملكة بني إسرائيل، تحت حكم سليمان في عصرها الذهبي، ولكن أراد سليمان أن يُري الشعب أن النجاح والازدهار يمكن أن يزولا كبخار التنفس. فكل الإنجازات لا بدَّ أن تختفي يومًا ما، ويجب أن نحفظ هذا في عقولنا لنحيا بحكمة، لأننا إذا لم نفعل ذلك، فيمكن أن نصبح إما متكبرين مكتفين بذواتنا عندما ننجح، أو مُحبَطين إحباطًا شديدًا عندما نفشل. وكانت غاية سليمان أن يبين أن الممتلكات والإنجازات الأرضية هي في نهاية الأمر زائلة ولا يمكن أن تجلب السعادة. فالفرح الحقيقي هو أن نسعى وراء الله وأن نضعه في كل ما نقول ونفكر ونفعل.

وهذا التعبير "باطل الأباطيل" مألوف مثل تعبير "عبد العبيد" الوارد في تكوين 9: 25، وتعبير "قدس الأقداس" الوارد في خروج 26: 34، وتعبير "سما السموات" الوارد في 1ملوك 8: 7، وتعبير "نشيد الأنشاد" الوارد في نشيد الأنشاد 1: 1. ولذلك هو تعبير عن الإمعان في البُطل أو تمامه. أي أن كل ما في العالم نتصوّر أن فيه سعادة ليس إلاّ سراب خادع وكل كأس يقدّمه العالم فيه لذّة أو متعة إنّما في آخره "يلسع كالحيّة ويلدغ كالأفعوان". فبداية هذا السِفر تتضمّن كل ما انتهى إليه الملك سليمان في بحثه.

وقد عبّر أولاد الله في كل العصور عن تقديرهم لحياة الإنسان هنا على الأرض؛ فإن لم تكن تُقضى لواهبها فما أتفهها وليس لها أقل اعتبار. فيعقوب قال مثلاً في تكوين 47: 9: "ايَّامُ سِنِي غُرْبَتِي مِئَةٌ وَثَلاثُونَ سَنَةً. قَلِيلَةً وَرَدِيَّةً." ويقول موسى في مزمور 90: "بِالْغَدَاةِ كَعُشْبٍ يَزُولُ. بِالْغَدَاةِ يُزْهِرُ فَيَزُولُ. عِنْدَ الْمَسَاءِ يُجَزُّ فَيَيْبَسُ. أَيَّامُ سِنِينَا هِيَ سَبْعُونَ سَنَةً وَإِنْ كَانَتْ مَعَ الْقُوَّةِ فَثَمَانُونَ سَنَةً وَأَفْخَرُهَا تَعَبٌ وَبَلِيَّةٌ لأَنَّهَا تُقْرَضُ سَرِيعاً فَنَطِيرُ."

نلاحظ أن هذا السِفر الذي ندرسه يحدِّثنا عمّا جرَّبه سليمان واختبره تحت الشمس. فلم يستمدّ سليمان المعلومات في هذا السِفر من الإعلان الإلهي، بل اعتمدَ على الملاحظة

والتجربة والتحليل. وهكذا نرى أن العبارات مثل "ناجيتُ قلبي"، "قلتُ أنا في قلبي" وافتكرت في قلبي" تتكرّر 7 مرّات. فما نراه هنا إذًا هو بحث إنسان طبيعي، بدون إعلان إلهي، ولو أن تسجيل هذا الاختبار تمَّ بالوحي. وهنا ينبغي أن نميِّز بين الوحي والإعلان. فكلّ ما يُسجَّل في الكتاب المقدّس إنما يُسجَّل فيه بالوحي، ولكن ليس كلّ ما سُجِّل فيه هو صحيح. فالوحي في مرّات كثيرة سجّل كلمات الشيطان وافتراءات الأشرار. التسجيل تمَّ بالوحي، وأما مضمون الكلام فليس صحيحًا. وسليمان هنا سجّل اختباره الشخصي بالوحي، وأما مضمون الكلام فليس صحيحًا. وهكذا فليس كل ما خَلُص إليه سليمان من استنتاجات كان صحيحًا. ولهذا نرى أن هذا السِفر هو الكتاب المفضّل لدى المشكِّكين وأصحاب البِدع. فالفنائييون الذين يُعلِّمون بفناء النفس الأبدي، وكذا أصحاب "بدعة نوم النفس" يُكثِرون من الاستشهاد بما ورد فيه. لهذا ينبغي علينا أن نميِّز بين الوحي والإعلان. هذا أمر مهمّ جدًا. ولقد قصد الله أن يحتوي الوحي المقدّس على هذا السِفر ليُقنِع الإنسان بعدم نفع كل فلسفاته في حلّ أُحجيات فلسفات الحياة، أو إدراك معناها الحقيقي. فبعد بحث سليمان العميق، وصل إلى أنّ كل فلسفات الدنيا لا يمكنها اكتشاف معنى الحياة، وكل المحاولات للوصول إلى السعادة الحقّة، مكتوب عليها بأحرف بارزة "باطل الأباطيل".

في أربع عشرة مرّة يسجّل الجامعة هذه العبارة: "هذا أيضًا باطل" ممّا يدلّ على اتساع ما جرَّبه سليمان واختبره، علّه يجد فيه السعادة، فلم يجد سوى الخواء والفراغ.

وهكذا نلاحظ هنا أن طوال هذا السِفر هو إنكار ورفض كل ما هو روحي وكل ما له علاقة بطبيعة الإنسان الروحيَّة. فهو ينظر إلى الإنسان وكأنه متساوٍ مع الحيوان. فإن كنّا لا ننظر إلى الإنسان ككائن ثلاثيّ الأبعاد، أي إن كنّا لا ننظر إلى طبيعة الإنسان الروحيّة فنحن سنعيش هذه الحياة على المستوى البشري، أي حياة ملؤها الفراغ والإحباط والفشل والخيبة.

في هذه الأيام يوجد الكثيرون الذين يكسبون عيشهم عن طريق مساعدة الناس على التعامل مع الإحباط والفشل لأن هؤلاء الناس يشعرون بأن الحياة تافهة وعديمة الجدوى وباطلة. فهم يشعرون بأن الحياة ليست جديرة بالاهتمام ولا تستحقّ العناء المبذول في سبيلها كونها باطلة وفارغة وبلا معنى. إنهم يدفعون المال محاولين أن يكتشفوا معناها ولماذا هي

هكذا بلا جدوى ولكن عَبَثًا يحاولون. إن سبب عدم قدرتهم على اكتشاف المعنى الحقيقي والهدف الحقيقي هو نكرانهم وتنكُّرهم للبعد الروحي للإنسان. لكن عندما نأخذ بعين الاعتبار أن الإنسان كائن روحي يمكننا أن نجد المعنى والقصد من وجودنا كما يمكننا أن نشعر بالأمان والاطمئنان. إنهم بنكرانهم للطبيعة الروحية للإنسان ينكرون هذه الحقيقة وهي أنّ داخلي، في عمق أعماقي، أي في روحي، في هذا الجزء من طبيعتي كإنسان يوجد شوق وعطش نحو الله. نقرأ في المزمور 42 والعدد الأول: "كَمَا يَشْتَاقُ الإِيَّلُ إِلَى جَدَاوِلِ الْمِيَاهِ هَكَذَا تَشْتَاقُ نَفْسِي إِلَيْكَ يَا اللهُ." فكما أن حياة الغزلان تتوقّف على المياه، هكذا حياتنا تتوقّف على الله. فالذين يطلبونه ويتوقون إليه، يجدون حياة لا نهاية لها، حياة أبديّة. فإذ شعر صاحب هذا المزمور بالانفصال عن الله، لم يسترح حتى استردّ شركته مع الله، لأنه عرف أن حياته تتوقّف على ذلك. إنّ في داخل الإنسان فراغ وخواء ولا يستطيع أحد أن يملأ هذا الفراغ إلاّ الله وحده. لذلك إذا أُهمِلَ هذا الجزء الروحي في الإنسان، فلا يمكن البتّة أن يشعر هذا الإنسان بالشبع والاكتفاء والرضى كون هذا العطش الروحي العميق يلازم هذا الشخص. هذا ما اختبره الملك سليمان ويأتي على ذكره هنا. فراغ وخواء وإحباط وتفاهة. فالعدد الثاني من هذا الأصحاح يحدّثنا عن خلاصة ما انتهى إليه الجامعة في كل بحثه وفيه نرى مفتاح السِفر كله، أو عنوان السِفر. وغرض الروح القدس هنا هو إعداد ذهن القارئ لما هو متضمّن في السِفر.

فإذا أصغى الشخص إلى صوت يسوع الذي يقول: "يا إنسان، أنت مُذنِب، وما تقوم به هو خطأ وباطل، لكنّي أحبّك وأنا حملتُ خطيَّتك وذنبك عندما متُّ من أجلك على الصليب. لقد حملتُ كل خطاياك ودفعت ثمنها على الصليب. فإن كنتَ تؤمن بي، سوف أغفر لك كل خطاياك." وهنا أريدك أيها، المستمع الكريم، أن تصغي جيدًا وتنتبه كون هذا الأمر لا يستطيع يفعله أي طبيب نفسي أو أي إخصائي، بينما يسوع ويسوع وحده يستطيع. إنّ إنجيل النعمة، إنجيل يسوع المسيح وحده يستطيع! إنه أهم أمر في العالم.

نقرأ في إنجيل يوحنا، الاصحاح السابع والأعداد 37 و38 إنّه في اليوم الأخير من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً: "إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ. مَنْ آمَنَ بِي كَمَا قَالَ الْكِتَابُ تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ."

بعض الناس يُنكِرون ويرفضون أن تكون لهم علاقة بيسوع. فكلّ إحباط وتثبيط للعزيمة وفشل ينشأ بسبب إنكار هذا البعد الروحي في الإنسان. لكن يسوع يقول: يوجد عطش في أرواحكم. تعالوا إليَّ واشربوا. فعندما يأتي يسوع إلى حياة الإنسان، لا يملأ الحياة ويسدّ هذا الفراغ الروحي العقيم والباطل فحسب، لكنه يواصل سكيب الروح القدس حتى الفيض على الآخرين حولي إذ تُصبح حياتي ليس كالإسفنجة تمتصّ فقط، بل تفيض على الآخرين من محبّة الله ونعمته وصلاحه الذي يهبه لي.

فإذا نظرتَ إلى الحياة على المستوى البشري فقط كما فعل سليمان هنا؛ إذا نظرتَ إلى الإنسان كحيوان وأهملت أو تنكّرتَ للبعد الروحي الذي وضعه الله في الإنسان، عندها ينتابك الإحباط. كان السؤال الذي سأله الحكيم سليمان هو: "ما الفائدة للإنسان من كل تعبه تحت الشمس؟" وكانت إجابته: "لا منفعة تحت الشمس." لقد وجد الجامعة أن لا شيء تحت الشمس يمكن أن يملأ القلب. فالإنسان على المستوى الحيواني هو بائس وميؤوس منه، ومن المستحيل أن يشعر بالرضى والفرح الحقيقي. فعبثًا يحاول أن يجد الفرح الحقيقي والسعادة الحقيقيّة إلى أن يرتفع إلى المستوى الروحي حيث يأتي به الله إلى المستوى السماوي حيث الطبيعة الإلهيَّة التي أهي أعلى وأسمى من طبيعة البشر. عندئذٍ يمكن للإنسان أن يحيا حياة كاملة ملؤها الرجاء والفرح والسعادة الحقة.

كان لسليمان هدف في كتابته بلغة الشك والتشاؤم، فقرب نهاية حياته ألقى نظرة إلى الوراء على كل ما فعله، فبدا له باطلاً في معظمه. فقد كان من الشائع الاعتقاد بأن الناس الصالحين هم وحدهم الذين ينجحون، وأن الأشرار فقط هم الذين يعانون، ولكن لم يثبت ذلك في خبرته الحياتيَّة. ولقد كتب الملك سليمان هذا السِفر بعد أن جرَّب كل شيء وحصل على الكثير ليجد أخيرًا أن لا شيء بعيدًا عن الله جعله سعيدًا وأراد أن يتجنب القارئ هذه المساعي الباطلة. فإذا حاولنا أن نجد معنى في إنجازاتنا وليس في الله، فلن ننجح أبدًا، وكل ما سعينا وراءه سيصبح عناء وتعبًا

يرينا سليمان مدى بطل السعي وراء متَع الحياة أكثر من سعينا لعلاقة وراء الإله الأبدي الحقيقي. فالسعي وراء البهجة والثروة والنجاح بدون هذه العلاقة مع الله، لا يجلب إلاّ الإحباط والفراغ والبطل إذ ليس في العالم ما يمكن أن يشبِع قلوبنا المحتاجة القلِقة. إنّ الحكمة البشريّة لا تقدّم كل الإجابات على النحو الصحيح. فالمعرفة والتعليم لهما حدودهما. ولكي نفهم الحياة، فإننا بحاجة إلى الحكمة التي لا يمكن أن توجد إلاّ في الكتاب المقدّس. نحن بحاجة إلى حكمة أعظم مما يستطيع هذا العالم أن يعطي. نحن بحاجة إلى أقوال الله. إذا أصغينا إليه فحكمته تنجّينا من مرارة الخيبة البشريَّة. لقد أراد الملك سليمان أن يهزّ ثقة الناس في جهودهم وقدراتهم وحكمتهم الذاتية، وأن يوجّههم إلى الايمان بالله كالأساس الوحيد السليم للحياة. إن الذي يرفض أن يأخذ الله وكلمته على محمل الجدّ محتوم عليه أن يعيش حياة تتّصف بأقصى البطل.

إنّ كلمات سليمان هنا توضّحها كلمات الربّ يسوع للمرأة السامريَّة في إنجيل يوحنا، الأصحاح الرابع والعدد الثالث عشر: "كلّ مَن يشرب من هذا الماء يعطش أيضًا". لكن معظم الناس، للأسف، غير مستعدّين أن يأخذوا "الماء الحي"، العطية المجانيّة من ابن الله، إلاّ بعد أن يختبروا مياه هذا العالم التي لا يمكن أن تروي النفس.

[الخاتمة]
(مُقَدِّم البرنـامج)

سيكمل بمشيئة الله، الراعي "تشك سميث" دراسته عن نتائج الحياة التي يعيشها الإنسان بلا معنى ولا هدف حيث الناس يركضون وراء شهواتهم وطموحاتهم الأنانية.

والآن، نترككم، أعِزَّاءَنا المستمعين، مع كلمة ختامية.

[كَلِمَة خِتاميَّة]
(الرَّاعي تْشَك سميث)

صلاتنا إلى الله من أجلك، صديقي المستمع، ان كنت ما زلتَ بعيدًا عن الله، أن تأتي إليه تائبًا ومؤمنًا بما قد عمله الربّ يسوع المسيح من أجلك، فتقبل الربّ يسوع المسيح مخلّصًا شخصيًا لك، وتتوّجه ربًا على حياتك بالإيمان به، حتى تحصل على الغفران والحياة الأبديّة، وهكذا يرتفع قلبك كما سبق وقلنا، إلى ذاك الذي هو فوق الخليقة كلها وفوق الشمس له المجد إلى الأبد. آمين.